المملكة المغربية
المجلس العلمي الأعلى
الأمانة العامة
المجلس العلمي المحلي ببني ملال

أنوار

مجلة علمية ثقافية تصدر مرتين كل سنة
عن المجلس العلمي المحلي لبني ملال

العدد الخامس - 1438هـ / 2016م

دراسات وأبحاث:

التعليل الفقهي والمقاصدي للعبادات
الإصلاح من منظور القرآن الكريم
قاعدة مراعاة الخلاف وخطابنا الفقهي المعاصر
الأمن في الإسلام
فقه المهجر

تاريخ وجهة:

الأعراف التضامنية بمنطقة تادلا
المكان المقدس بين المقاومة والتحول
الجغرافيا والتضاريس: دورها في توزيع مراكز التصوف والزوايا

قطوف دانية:

التطريز الكوني في القرآن الكريم
معجزات المسيح بين الإنجيل والقرآن
مدخل إلى علم القرآآت (5)
صحابية جليلة - تعريف بعالم - خطبة جمعة - شعر

مجلة علمية ثقافية تصدر مرتين في السنة
عن المجلس العلمي المحلي ببني ملال
1438 هـ / 2016 م
العدد الخامس

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جاء هذا الدين نورا يهدي به الله تعالى من اتبع رضوانه سبل السلام.نور يبدد الظلمات ويقلل من العثرات حتى يكون السالك إلى الله تعالى في مختلف منعرجات الحياة على بصيرة في مسلكه، مبصرا لآيات الله تعالى المختلفة في النص والآفاق والأنفس، مهتديا مسترشدا بها تقوده إلى الصلاح في النفس والإصلاح في المجتمع .. وكما قيل: لأن تضيء شمعة خير من أن تلعن الظلام.

المدير المسؤول:

سعيد شبار

الإعداد والتصفيف والإخراج:

ادريس العامودي

عنوان المراسلة:

المجلس العلمي المحلي ببني ملال
بلوك 02، رقم 09 تجزئة القدس – بني ملال
الهاتف: 35 93 48 0523 - الناسوخ : 30 46 42 0523
البريد الإلكتروني:
majlismellali@gmail.com

الإيداع القانوني : 2017PE0008

ردمك : ISSN: 2550-4118

شروط النشر في المجلة:

- المستوى العلمي الجيد.
- مراعاة التخصص والعمق في الدراسات الشرعية والبحوث التاريخية.
- أن يكون البحث اجتهادا في بابه، وأن يحمل جديدا ما أمكنه ذلك.
- ألا يكون الموضوع قد سبق نشره في أي منبر.
- التوثيق العلمي للنصوص والشواهد.
- أن يكون البحث مرقونا على الحاسوب.
- أن يتراوح حجم البحوث الشرعية والتاريخية ما بين 12 و20 صفحة.
- أن يتراوح حجم مواد ركن القطوف الدانية ما بين 2 و3 صفحات.
- المواد لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترتيب المواد المنشورة يخضع لضوابط فنية.

المكان المقدس بين المقاومة والتحول
ضريح "أبو البخت" بأيت أمغار بدمنات نموذجا

د. محمد حقي
كلية الآداب ببني ملال

تقع قرية أيت أمغار على مسافة ثلاثة كيلومترات تقريبا شرقي مدينة دمنات على سفح الجبل المنسوب إلى المدينة، وتضم معلما مقدسا متمثلا في ضريح سيدي "أبو البخت" الذي يمارس إشعاعا قويا في محيطه. ويسمح هذا المكان بتسليط الضوء على التطور الذي عرفته الأماكن المقدسة في المنطقة وكيفية التحول من الوظائف القديمة والمحرمة؛ في الشرائع الجديدة وخاصة الإسلام، إلى وظائف مشابهة تحت غطاء الشرعية الجديدة، وكذلك كيفية تعاطي الإسلام؛ أو بالأحرى المسلمين الجدد بمن فيهم الأكثر تمسكا بالشرع - حسب اعتقادهم- وهم المتصوفة، مع المعتقدات السابقة وطرق التحايل الممارسة للإبقاء عليها مع بعض التعديل أو بدونه. فالمكان يعكس صور التجاور والتطبق والإقصاء بين المقدسات مع ما يحمله كل ذلك من الصراع الخفي بين قديم عميق الترسخ في الذهنية الجمعية ومهدد بإزالة رموزه وشواهده المادية وجديد يملك كل الدعم المادي والشرعي لكنه يعجز عن التوغل في أذهان الناس لمحو محتوياتها، فيلجأ كل طرف إلى لعبة التحايل والتستر تحت غطاء أشكال مقبولة من الطرف الآخر كتعبير عن العجز عن حسم المعركة نهائيا وسعي إلى الاحتفاظ بحمولة تاريخية قوية لتوظيفها في خدمة المشروع الجديد.

وإذا كان البحث في مثل هذه المواضيع مغريا لطرافته وللآفاق التي يفتحها لفهم العقلية الشعبية وتطور الأفكار الدينية، فإن انعدام المصادر الضرورية يجعل العمل صعبا وغير مأمون العواقب، وعندما يقبل الباحث على المغامرة في سبر أغواره فمن أجل أن يفتح الباب عليه وينبه باقي الباحثين إلى أهمية البحث فيه لتتكاثر الجهود وتتضافر علها تتوصل إلى بعض النتائج. ويعتمد البحث الحالي على الرواية الشفوية والبحث الميداني مع بعض الأخبار القليلة التي وردت في كتب التراجم حول الولي "أبو يلبخت". ولتسهيل التحليل تم تقسيم الموضوع إلى ثلاث نقط:

1- الأصل:العين المقدسة- عين سيدي "أبو يلبخت"

2- العين "الحمة".

3- ضريح سيدي "أبو البخت"

1- العين المقدسة: عين سيدي" أبو يلبخت"

تقع العين في جبل دمنات شرقي المدينة على طريق "إيمي نيفري" على سفح متوسط الانحدار "وسط غابة من الزيتون والكروم المعروشات البديعة وأشجار الجوز العظيمة" حسب وصف الوزان[1]، وهو المنظر الذي ما تزال تحتفظ به لحد الآن خاصة ما يتعلق بأشجار الزيتون. وهي عين ثرة ماؤها عذب بارد وكثير، ولا يجف صيفا ولا شتاء، ويزداد الصبيب كلما نزلت أمطار على غرار عيون جبل الأطلس. وتقع حاليا في مكان منعزل بعيدا عن البنايات، أما في القديم فكانت أبعد؛ كما يستفاد من رواية التادلي، التي تظهر أن السكان كانوا يقطنون في أعلى السفح؛ ربما، في مغارات هناك – كما هي العادة في هذه المناطق الجبلية – ويضطرون إلى النزول إلى أسفله للتزود بحاجياتهم من الماء من العين، إذ يقول أحدهم عند حديثه عن كرامات "أبو يلبخت": "نزلت ليلة في جوف الليل لأتوضأ، يعني أسفل الجبل"[2]. وتغطي العين النباتات المائية الشديدة الخضرة من مثل تلك التي توجد حاليا حول عيون المنطقة (عين أسردون وفم أودي).

1- الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1983، ج1، ص:1.164.

2- التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1984، ص:381-382. 2.

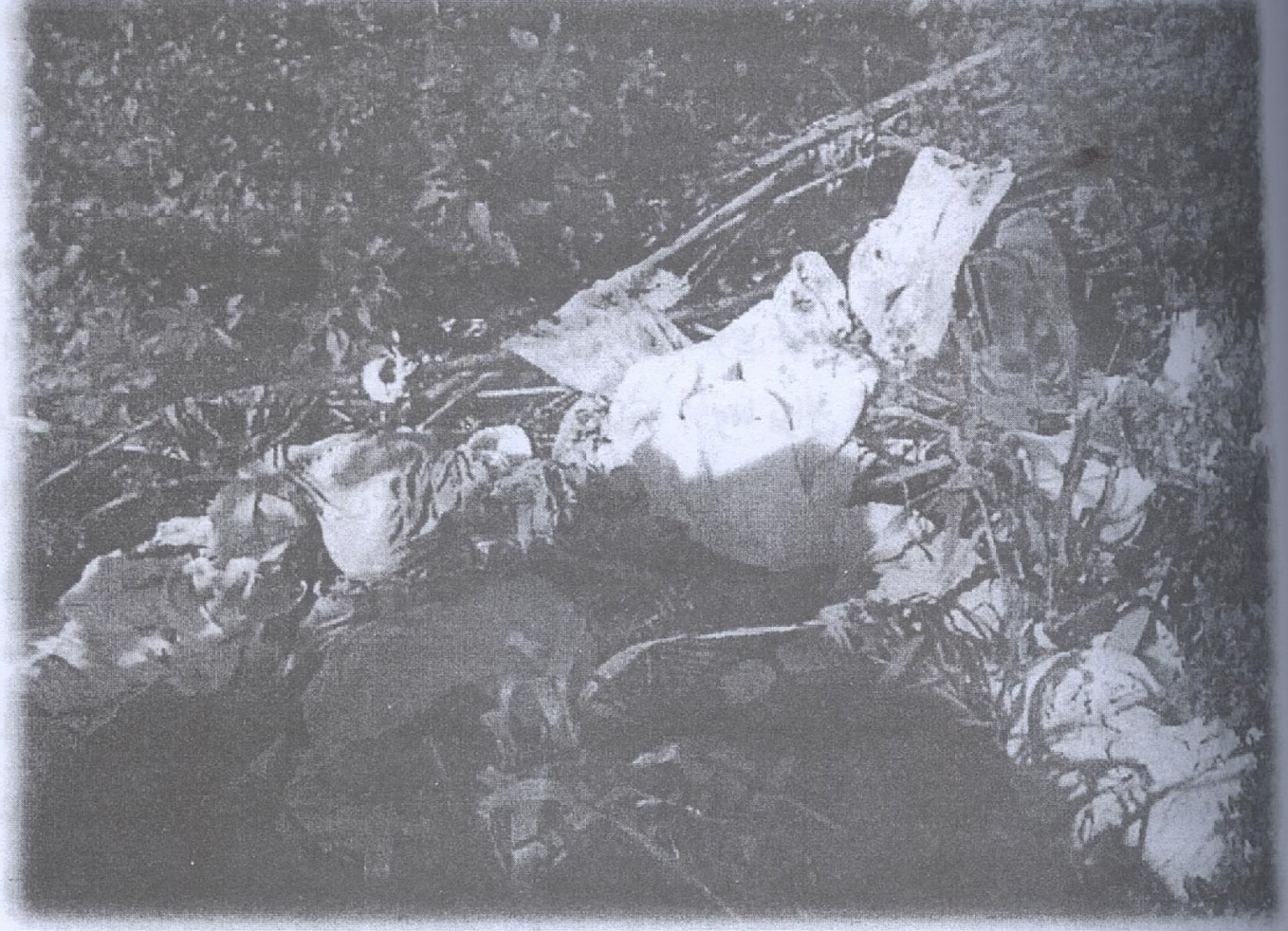

صورة لمحيط عين سيدي أبو يلبخت

ويظهر أن العين تعد المصدر الرئيسي للماء للسكان هناك كما يؤكد النص السابق، فمنها مياه الشرب والاستعمال اليومي في النظافة والطبخ وشرب الماشية إذ يتوقف عندها الرعاة لإرواء عطش قطعانهم، ولذلك فعليها يرتكز ويتوقف أمنهم ووجودهم، مما يعطيها مكانة خاصة في النفوس ويفرض احتراما قويا سيصل عند الجماعات البدائية إلى حد العبادة. ونفترض أن هذه العين كانت محطة استراحة لجماعات الرحل التي تعبر ممر دمنات في رحلاتها الصيفية والشتوية بين أعالي الأطلس وسفوحه الجنوبية الشرقية والواحات المجاورة. ويقال إن موكب السلطان الحسن الأول كان ينزل في هذا الموقع، وإذا كانت هذه الرواية صحيحة فهذا يؤكد أن المكان محطة تاريخية للاستراحة وأن للعين ولموقعها أهمية كبيرة حيث تتحول إلى مكان للتبادل بكل أشكاله المادية والمعنوية مما يزيدها احتراما وإشعاعا. وتستقبل العين أيضا الحيوانات البرية الموجودة في المنطقة وعلى رأسها الأسود التي يرد الحديث عنها في كرامات "أبو يلبخت"[1]، حيث تأتي إليها لترتوي من مائها وتتمدد في ظلال أعشابها وتنتعش

1- نفسه، ص:382.

بلطف هوائها؛ خاصة في فصل الصيف الحار، وتصطاد من ضيوفها من الفرائس، وكأن العين تتحكم في وجودها وتخضعها لإرادتها.

إن الخدمات الكثيرة التي تقدمها العين للإنسان البدائي قد أقنعته؛ دون شك، بضرورة تقديم مقابل اعترافا بالجميل وحفاظا على المكتسبات، لذلك بدأ يقوم ببعض الطقوس ويقدم بعض القرابين والهدايا. وهكذا تم خلق موسم سنوي ينظم قرب العين في مكان واسع خال من النباتات والذي يسمى محليا بإكدي IGDI [1]، وما يزال ينعقد سنويا في أواخر شهر يوليوز الفلاحي (اليولياني) حتى اليوم، بالرغم من الغياب الذي عرفه في السنتين الأخيرتين (2010 و 2011) لظروف طارئة. وخلاله تذبح ذبائح كثيرة من البقر والماعز والغنم ويستعمل لحمها في إعداد الكسكس من قبل النساء ليتناوله كل أعضاء الجماعة وضيوفها. وهذه المواسم الفلاحية إن كانت تعقد للاحتفال بنهاية الموسم الفلاحي، فالجماعات الفلاحية تعقدها أيضا للتقرب من آلهتها طلبا لمزيد من فضلها وعطائها واتقاء لغضبها وشرها ولتجنب جفاف العين، مما يستنتج منه أنها تعتقد بوجود أرواح خفية وقوية تسكن العين كما هو شائع في كل نواحي المغرب حتى اليوم، فكل الأنهار والجداول والسواقي والآبار والعيون والضايات تسكنها أرواح شريرة تصب غضبها على كل من يسيء إليها أو ينزل إليها في أوقات معينة وخاصة الليل[2].

يثبت البحث الميداني المنجز في ربيع عام 2012 م أن العين ما تزال محل عبادة وتقديس من قبل السكان وخاصة النساء منهم، حيث بنيت عليها غرفتان حديثا؛ واحدة للرجال وأخرى للنساء، وقبل ذلك كان المستحمون يتسترون بالأعشاب. ويذكر أحد الباحثين أن السكان في مناطق أخرى خلقوا أساطير تتوعد المتلصصين على المستحمات بعقوبات شديدة كالعمى والموت[3]، لكننا لم نستطع إثبات ذلك بالنسبة لمنطقة الدراسة. ويقصدها للاستحمام كل من يعاني من عسر في بلوغ مآربه وخاصة النساء العوانس اللواتي يبحثن عن

---

1 -LAOUST , Emile , Noces berbères, EDISUD, 1993, p:99

ممارسات شائعة وما تزال حية، وانظر أيضاBELFAIDA,L' Eau au maghreb,Rabat Net Maroc,

2-Rabat, 2011, p:62

3-BELFAIDA, op. cit. , p :81

زوج. ويشترط عند دخولها عدم ذكر اسم الله وإلا زاد العسر[1]؛ وهذا تأكيد على أصلها الشيطاني، وكذلك التخلص من كل الملابس الداخلية التي تعلق على الأشجار هناك (انظر الصورة)، ولا يعقب ذلك أو يسبقه أي طقس خاص[2] .ولا يستبعد أن يشرب ماؤها للعلاج أيضا كما يلاحظ حاليا في عيون المنطقة وعلى رأسها عين أسردون ببني ملال التي يقدم بها الأطفال للزوار أكوابا من الماء للشرب بمقابل مادي.

ولا تساعدنا الرواية الشفوية على معرفة شيء عن علاقة العين بطقوس الزواج، ولو أن التركيز على علاج العوانس وتسهيل الزواج يحيل على وجودها، لكنها تنوسيت مع الزمان بفعل التركيز على العلاج كخاصية لها. فالمواسم الفلاحية تقترن بالزواج الجماعي للشباب البالغين هذا السن وقتها، وعادة ما تكون ساحته مسرحا لجزء من طقوسه، وبذلك يرتبط ارتباطا وثيقا بالعين التي تحتضن كل أنشطة الموسم. وتنتشر في المغرب والمنطقة خاصة عادات تربط بين الزواج/ الخصوبة والعيون بكثرة، فالبعض منها يحتفظ بكل عناصره واضحة والبعض الآخر بقيت منه فقط بعض المؤشرات التي تحيل على وجودها. ففي بني ملال اعتاد العرسان الجدد ليلة الزفاف وقبل استهلاك الزواج الانتقال إلى عين أسردون وأخذ صور تذكارية بجوار شلالها الاصطناعي؛ وكثير من الناس يقومون بذلك من باب الترفيه والتسلية، ولكن التمعن في الأمر يدفع إلى التفكير في أننا أمام طقوس دينية قديمة كانت تمارس بكل حرص واحترام بحثا عن بركة العين وخاصة الخصوبة. وفي مناطق أخرى يدخل العريسان قبل الدخلة بجانب العين في لعبة التراش بالماء (أسرديم في قبيلة إيلالن)، وفي أماكن أخرى يستيقظان مبكرا ويتجهان إليها ويتبادلان شربة ماء من راحتيهما، أو فقط تخرج العروس لتجلب الماء من العين كأول نشاط تقوم به في بيت الزوجية الجديد[3]. وفي هذا الاتصال بالعين يحضر بقوة عنصر الخصوبة الذي يمثله طرفا اللعبة العروس والعين، حيث يتم تبادل الخدمة. ففي الوقت الذي يعتقد أن العروس تذهب إلى العين لتلتمس منها تقوية خصوبتها

1- يعتقد المغاربة أن الجن لا تقبل التسمية ولا الملح وكل من أراد التعامل معها فعليه تجنبهما وإلا انقلبوا عليه. وهذا يثبت الأصل الوثني لهذه الممارسة التي صمدت في وجه الإسلام؛ وربما، اليهودية والمسيحية قبله.

2- نجد هذه الطقوس منتشرة في المناطق المجاورة في "إيمي نفري" القريب جدا وعين تنانت التي تستحم بها النساء الراغبات في الحمل ويمشطن شعورهن ويذبحن دجاجة.

3-Laoust E .Noms et cérémonies des feux de joie chez les Berbères, HESPERIS, vol.1, 1921, p:34

ودوامها ومساعدتها على الإنجاب، يعتقد أيضا أن العروس هي مصدر الخصوبة والعطاء وزيارتها للعين في هذا الوقت يزيد من خصوبتها ويرفع صبيبها كما يحميها من النضوب[1].

من خلال ما سبق يظهر أن مكانة العين تأتيها من الخدمات الحيوية التي تقدمها لكل المخلوقات إنسانا وحيوانا مما مكنها من فرض نوع من الاحترام والخضوع على الجميع، تحول عند الإنسان البدائي إلى نوع من العبادة والاعتقاد في وجود قوى خفية تسكن العين تحولت مع الإسلام إلى شياطين وجن يجب كسب ودهم وتجنب غضبهم عن طريق تقديم بعض القرابين التي تتخذ شكل ذبائح من كل أنواع المواشي وطعام الكسكس الذي يعتقد في المغرب أنه الطعام المفضل عند الجن، وذلك خلال الموسم السنوي لشهر يوليوز، والتجأ إليها للزيادة من الخير والخصوبة بالحرص على زيارة العرسان الجدد لها وإقامة جزء من طقوس العرس بجوارها، كما احتمى بها من بعض الأمراض الخفية كالعنوسة التي تقابل انعدام الخصوبة أو أمراض ظاهرة وعلى رأسها القروح المختلفة. وإذا كانت هذه العبادة قد تطورت في زمان ما قبل إسلامي فقد صمدت في ظل الإسلام حتى نهاية القرن 6هـ/12م وبداية ق7هـ/13م، ثم تكيفت معه بشكل كامل عندما ظهر منافس جديد تركته يتقمص أدوارها ويؤديها دون أن يثير معارضة كبيرة حتى اليوم.

2- العين "الحمة"

خلال أطوار البحث الميداني والاتصال بالسكان أخبرونا أن الاغتسال في العين يشفي من الالتهابات الجلدية والمفاصل والأورام واعتبروا ذلك من كرامات سيدي "أبو يلبخت". وعندما سألناهم عن السبب أجابوا أن الناس كانوا يسافرون إلى حمة مولاي يعقوب بضواحي فاس للاستشفاء، لكن أبا يعقوب[2] أخبرهم أن بإمكانهم الاستغناء عن حمته لأن لديهم عين سيدي "أبو يلبخت" بأيت أمغار والتي بإمكانها القيام بنفس الدور بفضل بركة هذا الولي، وبذلك يكون الولي قد منح العين خاصية جديدة وهي شفاء القروح وألم المفاصل. لكن التحليل العلمي يثبت أن هذه العين لا تحتوي على أي خصائص علاجية، فماؤها بارد وخال من أي كبريت أو معادن مشابهة. وكما يظهر من الرواية فالعين اكتسبت هذه الخاصية في فترة العصر الوسيط عندما انتشرت ظاهرة الإستشفاء بالحمات والعيون في المغرب والأندلس

1- Ibid.

2- انظر للتعرف عليها كتابنا "الموقف من المرض" مطبعة مانيبال، بني ملال، 2007، ص: (81-86).

بشكل واسع، واهتم الناس والسلطات القائمة بخلق البنايات عليها وإعدادها لاستعمال الزوار وإقامتهم أثناء العلاج[1]. كما ارتبط هذا الأمر بذيوع صيت الولي "أبو البخت" الذي أريد له أن يضاهي باقي الأولياء في كراماتهم. ويمكن أن نقول إن هذا الادعاء يرتبط أساسا بالمعتقدات القديمة التي تنسب لها خصائص سحرية[2] من قبيل علاج السحر وإزالة العكس والعسر خاصة عن العوانس كما سبق وأن وضحنا ذلك أعلاه، وما دامت تعالج تلك الأمراض الصعبة والخفية فلم لا تعالج هذه وهي أقل صعوبة، كما يمكن إدخالها في إطار التنافس بين المناطق حول قوة أوليائها وقدراتهم الخارقة[3].

3- ضريح سيدي "أبو البخت"

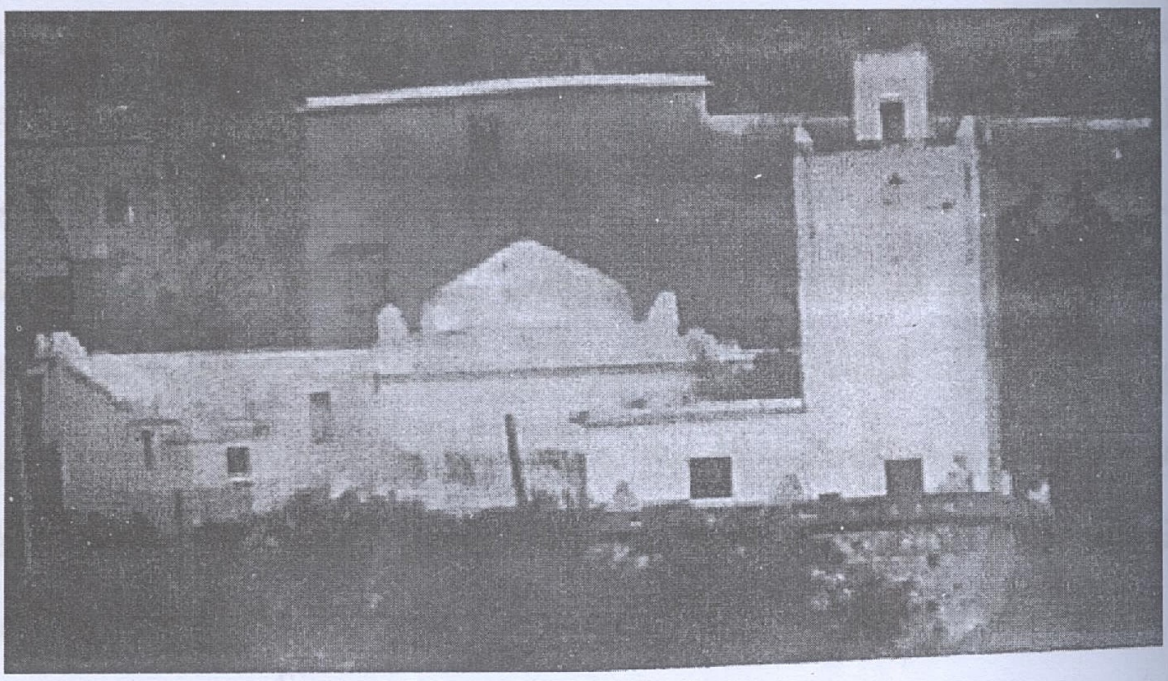

ضريح سيدي أبو يلبخت

على بعد بضعة أمتار يجثم ضريح متواضع من نوع أضرحة البادية، ويتخذ شكل مركب مكون من فناء وغرفتين مفتوحتين على بعضهما البعض، خصصت المجاورة للفناء لقبر الولي ورفيق له أما الثانية فعدت لاستراحة الزوار ومبيتهم والصلاة وإعداد طعام "المعروف" (الموسم) ونزول وإقامة عابري السبيل. والبناية حديثة البناء ومطلية بالجير من الخارج بينما تحتوي على بعض الزخرفة في الداخل. إنه ضريح الولي "أبو يلبخت ياللتن" الأسود. وهو

1- نفسه، ص: 83.

2 –BELFAIDA , op. cit . p. 87-88 .

3- تنسب نفس الرواية لعين سيدي امحند الضاوي بسيدي عيسى قرب سوق السبت على ضفة أم الربيع.

شخص مجهول لا نعرف عنه إلا الأشياء القليلة التي حفظها التادلي في كتابه ونقلها عنه الصومعي ثم الحاج نجيب الدمناتي[1]. ويستفاد منها أنه تلميذ لأبي يعزى يللنور صاحب تاغيا (مولاي بوعزة)، وأنه أسود اللون ومن جبال دمنات ببلاد هسكورة وأنه من أكبر المشايخ وصاحب كرامات كثيرة، وأن اسمه يحيل على حسن البخت والسعد وأنه غوث لقومه، وأنه مات هناك عام 602هـ/1205م. ويظهر منها أيضا أنه سافر خارج منطقته في اتجاه تاغيا للقاء أبي يعزى شيخه أو أغمات وريكة لزيارة بعض أصحابه. وكان يستقبل زوارا من مناطق مختلفة مثل تامسنا ويوفر لهم الطعام طيلة مدة إقامتهم التي قد تمتد بالنسبة لبعضهم لفترات طويلة (سبعة أشهر)[2].

وتزيد الرواية الشفوية أنه تربى يتيما في حضن أسرة في المنطقة، وكانت تكلفه برعي أغنامها، ولما ظهرت له كرامات من قبيل استئناس الطيور والأسود به قررت جماعة السكان التكفل به تيمنا، وأنه زار دار ولد زيدوح وبها توفي.

ويمكن أن نحتفظ من هذا التعريف ببعض العناصر المهمة أهمها أنه أجنبي عن المنطقة وليست له روابط أسرية محلية ويتيم وأسود وراع للأغنام وعاش منعزلا عن الناس قبل أن تقبل الجماعة بدمجه وتبنيه، وأنه ربط صلات واسعة مع متصوفة عصره خاصة في وسط المغرب.

وتنسب لأبي يلبخت كرامات كثيرة منها الطيران في الهواء والكرم دون حدود والتحكم في الأسود وتكثير الطعام ودوران الرحى لوحدها والكشف عن أسرار الناس وإنزال المطر والحماية من قطاع الطرق[3]. وتضيف الرواية الشفوية التحكم في الطير والتخليص من السحر وعلاج أمراض الجلد والانتقام من المشككين في ولايته في أنفسهم وأهلهم وأموالهم. ولنلاحظ أن العلاج لا يظهر ضمن الكرامات التي حفظها التادلي مما قد يؤكد أنه ألصق به فيما بعد بفعل عمل الذاكرة الشعبية.

1- التادلي، المصدر السابق، ص:381-383، الصومعي أحمد التادلي، المعزى في مناقب أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996، ص:174، نجيب الدمناتي، القول الجامع، تحقيق أحمد عمالك،الوراقة والمطبعة الوطنية، مراكش، 2012، ص:146-147.

2- التشوف، ص:381-382.

3- نفسه، ص:381-383.

والآن لنعد إلى ربط الولي بالعين فالرجل غريب أسود كان؛ دون شك، يقضي معظم وقته أثناء مزاولته الرعي بجوار العين وحيدا لا أنيس له غير أغنامه وزوارها من الحيوانات بنوعيها الأليف والمفترس والطيور التي نجح في خلق تواصل معها وصار يوجهها حسب إرادته. ألا نجد في هذا ارتباطا بين هذه الصورة وصورة الإله أو الجني الذي يسكن العين ويقوم بكل الأمور التي ترتبط بها؟ أليس الجني غريب الشكل وأسود في المتخيل المغربي؟ ألا يقدر الجني على التحكم في كل المخلوقات بطريقة غريبة وغير مفهومة (يسكنها حسب المعتقد الشعبي)؟ ألم تكن مبادرة السكان ـ حسب الرواية الشفوية. لتبنيه نابعة من ربطهم بين قوته والجني الذي يسكن العين؟ إن كل الصفات فيها إسقاط واضح لصفات الجني على المتصوف وكل ما سيختلف هو مصدر القوة، فهي عند الأول شيطانية وعند الثاني ربانية. فالولي هنا يسطو على صفات جني العين عن وعي إذا كانت جماعة المتصوفة قد لاحظت قوة تأثيرها في السكان فأرادت تكسير ذلك بتقديم بديل يلتزم أكثر بالإسلام ويبعدهم عن الشرك، وشجعت صاحبها للقيام بهذا الدور الذي استأنس به وألفه منذ شبابه عندما كان راعيا، أو عن غير وعي إذا افترضنا أن أبا يلبخت عاش حول العين منذ طفولته واستأنس بتبجيل الناس لها فصار يقوم بدور السادن والحامي للعين (الساحر) الذي يقدم العلاج والحماية واستمر في دوره حتى بعد انخراطه في الحركة الصوفية بالجمع بين الساحر والمتصوف. وستزداد هذه الصورة وضوحا عند تتبع كراماته.

ننتقل إلى الكرامات ونختار منها ما يلي: الكرم غير المحدود والتحكم في الأسود والطير وتكثير الطعام وكشف السر والتخليص من السحر وعلاج أمراض الجلد والانتقام من المشككين في كراماته في أنفسهم وأهلهم وأموالهم. وإذا قارنا هذه الصفات بتلك التي تختص بالعين فسنلاحظ تطابقا شبه كامل. فالعين تزود بمائها باستمرار ودون توقف ولا تمنعه عن أحد عدوا كان أو صديقا، مقيما أو مسافرا، إنسانا أو حيوانا أو نباتا، كما تسمح لزوارها بالثواء الطويل والانتعاش بمائها والاستظلال بشجرها وكذلك يفعل أبو يلبخت. والعين تقهر الأسود والطيور وتجعلها تقبل عليها دون خوف أو وجل راضخة مستسلمة باحثة عن شربة ماء (شم الولي المستلقي في طريقها) لإطفاء ظمإها قبل أن تتمدد ساكنة آمنة، وبعد ذلك ترحل دون إلحاق الأذى بها. والعين تقصد للعلاج من السحر و"العكس" وسوء الطالع وكذلك لعلاج القروح والندوب. والعين وشيطانها يعلم سر الزوار وخبايا نفوسهم لذلك يتدخل لعلاجهم وحل

مشاكلهم. والعين المسكونة بهذا الجني لا تقبل العبث بها وتلويثها أو حتى زيارتها في أوقات معينة مثل الليل لذلك يكون ردها عنيفا وقويا إذ يصاب المستهتر بالمرض الذي ينتهي عادة بالموت أو الشفاء في حالة الترضية التي تكون بتقديم دم ذبيحة (توبة عند المتصوف) وهو ما يفعله "أو يلبخت" بالمتشككين في ولايته.

إن التوافق الكبير بين صفات وخصائص الولي والعين يبين أن هناك محاولة قوية لتقمص الأول لأدوار الثانية التي كانت حاضرة في عين المكان قبله وترسخت عقيدتها في أذهان الناس منذ وقت بعيد جدا، فكان من الصعب عليهم التخلي عنها والتفريط فيها لذلك قاموا بالتحايل للاحتفاظ بها تحت غطاء جديد. ففي العهد الموحدي عندما بدأ نجم الولي الجديد يصعد بدأت معه عملية تحول واستعداد من قبل السكان لنقل معتقدهم القديم إلى هذا الممثل الجديد الذي لا يستبعد تواطؤه في الأمر عن وعي أو بدونه. ولأن عقيدة الولي ستتطلب وقتا لكي تكتمل وتختمر وتحظى بالقبول وينشأ الضريح ويتحول إلى مزار، فقد استغل الوضع فبدأت عملية إسقاط خصال المعبود القديم على الجديد من خلال الكرامات التي تنسب إليه، ونحن نعرف الطريقة التي تنقل بها. فهي شفوية فردية يشترط عدم روايتها في حياة الولي، وتأتي الرواية من أشخاص مقربين منه ومعجبين به لحد الافتتان مما يخلق عندهم الاستعداد النفسي لتصور أشياء غير موجودة إلا في خيالهم أو تفسير أمور عادية بطرق غيبية أو الكذب في إطار الرغبة في إظهار قوة الولي وتفوقه الذي قد تغذيه المنافسة القبلية والجهوية. فالصورة التي ترسم للولي هي تلك التي تريدها جماعته وتسمح لها بالاحتفاظ بمعتقداتها القديمة التي هي في حالتنا هذه عقيدة العين المقدسة والانتقال السلس إلى الوضع الجديد. ويتأكد ذلك مما لاحظناه من كون التادلي لم يذكر العلاج ككرامة لأبي يلبخت وإنما تكفلت به الرّواية الشفوية.

إن الولي "أبو يلبخت" هو الصورة التي أرادتها الجماعة المضيفة لمعبودها مما مكنه من السطو مكانيا على المعبود القديم إذ يوجد ضريحه قريبا جدا من العين التي أصبحت جزء من حرمه وأحد مزاراته، والسطو معنويا وفكريا من خلال تقمص صفات الجني الذي يسكن العين وخصاله مما أهله للقيام بأدواره. فنحن أمام لعبة تختلط فيها الرغبة في الاستبدال والتعويض ومحاولة الاستمرار المشروع، بحيث صار بالإمكان زيارة المكان دون خجل أو خوف من الاتهام بالشرك والاستمرار في العبادات القديمة، وفي نفس الوقت الحفاظ على

ممارسات قديمة تحت هذا الغطاء الجديد المشروع. وما يؤكد ذلك هو ما أثبته البحث الميداني من كون العين تحظى حتى اليوم بالأولوية من قبل زوار المكان وكأنها هي التي تعطيه حق الوجود والاستمرار.

خـــاتمـــة

بالرغم من قلة زادنا ومحدودية مصادرنا فإن تتبع ودراسة تطور منطقة أيت أمغار كمعلم مقدس قد كشف كثيرا من الخصائص والميزات التي تطبع مسيرة مثل هذه الأماكن.

أولا، إصرار الجماعة على تقديس نفس الموقع بغض النظر عن الإطار الذي يتم فيه ذلك؛ وثنيا أو توحيديا كان، مما يبين خاصية الاستمرارية التي تميز الأماكن المقدسة والصراعات التي تقوم حولها بين الديانات المختلفة.

وثانيا، المقاومة الشديدة التي تظهرها المعتقدات القائمة والقديمة ورفضها الانسحاب لمصلحة المعتقدات الجديدة، وأساليب التحايل التي تلجأ إليها، فبدل أن تزول تجعل الضيف الجديد يتبناها مع بعض التنازلات الضرورية مستغلة المحافظة القوية للجماعات القروية ولذاكرتها شبه الثابتة.

وثالثا، الدور الكبير الذي تلعبه الجماعات المحلية في نحت عقيدة الأولياء بالاعتماد على موروثها القديم وتنافسها المحلي والجهوي وإصرارها على فرض صورتها مع كل ما يتطلبه ذلك من وقت وذكاء ومكر وتحايل.

ورابعا، الكشف عن الأساليب التي تستخدمها الديانات الجديدة، ويهمنا هنا الإسلام، لإخضاع المعتقدات السابقة والمتمثلة في الاحتواء والتعديل والتبني وهي وسائل تحقق الاستمرار دون المس بجوهر العقيدة الجديدة أو إلحاق صدمة شديدة بالجماعات الحديثة الانضمام مما قد يزيد من نفورها.

وخامسا، الدور الكبير الذي لعبته الحركة الصوفية في دمج المعتقدات القديمة والوثنية في الإسلام، فخلقت ما يسمى بالإسلام اليومي الممارس والمعاش، ونعتقد أن ذلك ليس دائما عن وعي ولكنه يعكس مستوى التكوين والتدين عند هذه الفئة والذي يكشف عن إسلام

بسيط؛ في معظم الحالات، مليء بالمعتقدات المحلية الوثنية كتقديس الأرض والمخلوقات والاعتقاد في الخوارق والغيب بطريقة قوية جدا.